الرسالة رقم: (٩) ..... مجموع رسائل العلامة ابن رجب الحنبلي

الكلام على سورة الإخلاص

دار اللباب

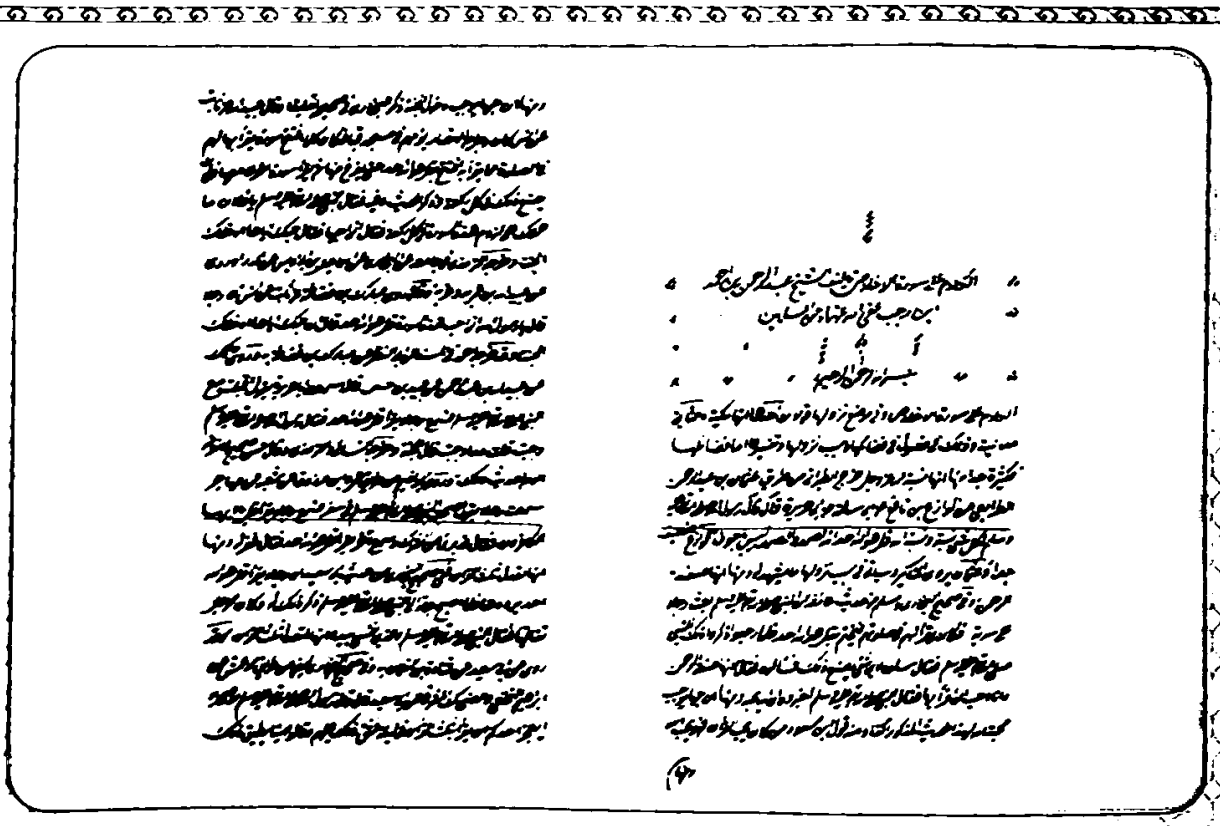

مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ـ عنها مصورة جامعة أم القرى (ج)

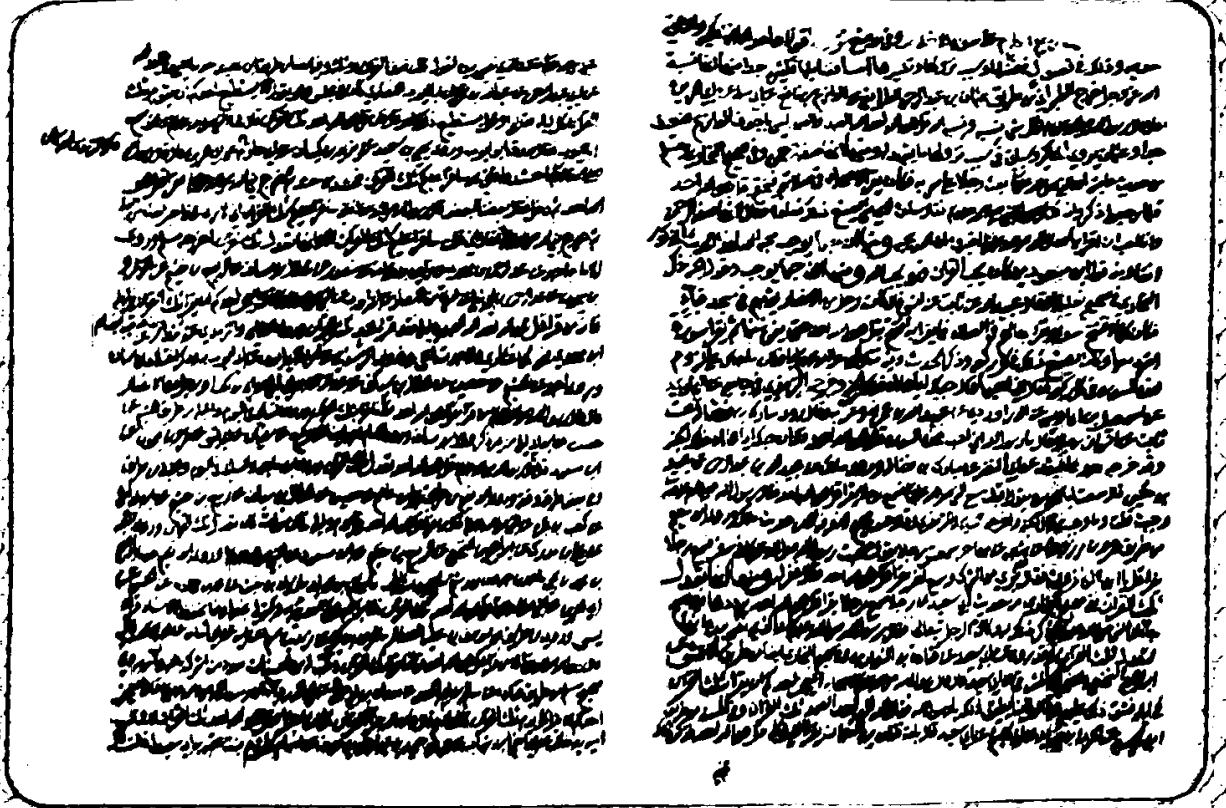

مكتبة جامعة الرياض (ض)

بسم الله الرحمن الرحيم رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
سورة الإخلاص

رحمه الله تعالى الكلام على
قولان أحدهما انها مكية والثاني مدنية
وذلك في فصول في فضلها وسبب نزولها وتفسيرها اما فضائلها فكثيرة جدا منها
انها نسبة الله عز وجل
من طريق عثمان بن عبد الرحمن الطرايفي عن
الوازع بن نافع عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله احد الله الصمد والصمد ليس بجوف
الو ضعيف جدا وعثمان يروي المناكير وسيأتي في سبب نزولها ما يشهد له

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله المتفرد بالوحدانية، الممجد بالصمدانية، المبرَّأ عن الولادة والوالدية، المنزَّه عن المشابهة والمماثلة والندِّية، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد المبعوث بالهداية للحقائق الإيمانية، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم على الاستقامة الربانية.

أما بعد:

فهذه مباحث لطيفة تكلم فيها الحافظ ابنُ رجب رحمه الله على ثلثِ القرآن، فإن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن.

ومعنى كونها ثلث القرآن:

* أن في تلاوتها من الأجر والثواب ما في تلاوة ثلث القرآن من الأجر والثواب، وهي وإن كان لها جزاؤه إلا أنها لا تجزئ عنه، فلا تجزئ قراءتها بدلاً من الفاتحة في الصلاة، ونحو ذلك، فهي كالصلاة في المسجد الحرام لها الأجر المضاعف لكنها لاتجزئ عن قضاء الفوائت.

* أو أنها جزء التوحيد من القرآن، فهو ثلاثة أجزاء: توحيد، وتشريع، وقصص؛ فهي تتضمن معاني ثلث القرآن.

ولكلٍّ من المعنيين دلائل، فلا غرو أن تكون لها الفضائل الكثيرة جداً، كما جاء

في الأحاديث الشريفة التي سردها المصنف رحمه الله تعالى، ثم ذكر سبب نزولها، ثم شرع في تفسيرها باللغة والنقل المأثور، مع الرأي المستنبط، مقتبساً كثيراً من ذلك من «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية رحمه الله مع سياقه بأسلوبه ونظره الخاص رحمه الله تعالى.

* * *

نَقَل عن هذه الرسالة للحافظ ابن رجب: الآلوسي البغدادي في تفسيره «روح المعاني» ـ سورة الإخلاص ـ، والتبس أمر هذه الرسالة على بعض من ترجم للحافظ ابن رجب فخلط بينها وبين رسالته الأخرى: «تحقيق كلمة الإخلاص».

وقد اعتمدت على ثلاث نسخ خطية متأخرة:

١ ـ نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، وهي في مجموع (١٣٨٠٩)، وهي الرسالة الخامسة منه، ومنها نسخة مصورة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، والرمز إليها (ج).

وهي في ٨ لوحات بخط فارسي، مسطرتها ٢١ سطراً، ليس فيها اسم ناسخ، ولا تاريخ نسخ، لكنها من مخطوطات القرن الثالث عشر.

٢ ـ نسخة جامعة الرياض، وهي في مجموع (٤٤٣٣) يشتمل على ثلاثة كتب: أولها تفسير سورة النصر، وثانيها: تفسير سورة الإخلاص، ورمزها (ض).

وهي في ٥ لوحات، مسطرتها ٢٦ سطراً، ليس فيها اسم ناسخ، ولا تاريخ نسخ، لكنها من مخطوطات القرن الثالث عشر.

٣ ـ نسخة جامعة الملك سعود، وهي في مجموع (١٦٣٧/ ١١)، وقد سبق

وصفه في المقدمات، ورمزها (س). وهي من (ص: ٢٥٣) إلى (ص: ٢٦٥) من ذلك المجموع، في ٧ لوحات، ناسخها: عبد الله بن إبراهيم الربيعي، تاريخ النسخ: ١٦ المحرم ١٣٣٤.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتب

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ[1]

الكلامُ على سورةِ الإخلاصِ

وفي موضعِ نُزولِها قولانِ: أحدُهما: أنَّها مَكيَّةٌ. والثَّاني: مَدَنيَّةٌ.

وذلك في فصولٍ في فضائلِها[2] وسببِ نُزولِها وتفسيرِها.

* * *

أما فضائلُها فكثيرةٌ جدًّا

مِنها: أنَّها نسبةُ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ خرَّجَ الطَّبرانيُّ مِن طريقِ عثمانَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ الطَّرائفيِّ، عن الوازعِ بنِ نافعٍ، عن أبي سلَمةَ، عن أبي هُريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لكلِّ شيءٍ نسبةٌ، ونسبةُ اللهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ والصَّمَدُ ليسَ بأجْوَفَ»[3].

---

(١) في مقدمة (س): «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. قالَ ابن رجب رحمه الله تعالى:».

وفي مقدمة (ج): «الكلام على سورة الإخلاص، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، عفا الله عنهما وعن المسلمين».

(٢) في (ض) و(س): «فضلها».

(٣) أخرجه الطبراني في «السنة» ـ وهو مفقود ـ كما عزاه إليه ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٥١٧). ونقل إسناده بتمامه، وكذلك فعل ابن كثير في «تفسيره».

* تنبيه: وقع عندهما: «عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي» هكذا مقلوباً. والصواب ما عند المصنف: «عثمان بن عبد الرحمن».

=

الوازعُ ضعيفٌ جدًّا، وعثمانُ يروي المناكيرَ، وسيأتي في سببِ نُزولِها ما يشهدُ له.

ومنها: أنَّها صفةُ الرَّحمنِ؛ وفي «صحيح» البُخاريِّ ومسلمٍ من حديثِ عائشةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعَثَ رَجُلاً على سَرِيَّةٍ، فكان يقرأُ لأصحابِه في صلاتهم، فيختمُ بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجَعوا ذكَروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقالَ: «سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك؟» فسألوهُ فقالَ: لأنَّها صِفةُ الرَّحمنِ، وأنا أُحِبُّ أن أقرأَ بها، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «أخبِرُوهُ أنَّ اللهَ يُحِبُّهُ»(١).

ومِنها: أنَّ حُبَّها يُوجِبُ محبَّةَ اللهِ، لهذا الحديثِ المذكورِ آنفًا، ومنه قولُ ابنِ مَسعودٍ: مَن كان يُحِبُّ القرآنَ فهو يُحِبُّ اللهَ(٢).

ومِنها: أنَّ حُبَّها يُوجِبُ دخولَ الجنَّة، ذكرَ البُخاريُّ في «صحيحِه» تعليقًا: وقالَ عبيدُ اللهِ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ: كان رجُلٌ مِن الأنصارِ يَؤُمُّهُم في مسجِدِ قُباءٍ، فكان كلَّما افتتَحَ سورةً يَقرأُ بها لهم في الصَّلاةِ ممَّا يُقرأُ به افتتحَ بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتَّى يفرغَ منها، ثم يقرأُ سورةً أخرى معَها، وكان(٣) يصنعُ ذلك في كلِّ ركعةٍ..، وذكرَ الحديثَ، وفيهِ: فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «يا فلان! ما حمَلَك

= وأخرجه على الصواب من هذا الوجه أبو طاهر السِّلَفي في «المشيخة البغدادية» في الجزء الثاني عشر (١٢).

وأخرجه من وجه آخر عن مداره الوازع: الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٢).

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

(٢) أخرجه المروزي في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (١٠٩٧)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٥١)، وسعيد بن منصور في «سننه» ـ التفسير ـ (٢)، وابن الجعد في «مسنده» (١٩٥٦)، والفريابي في «فضائل القرآن» (٦) (٧).

(٣) في (ج) و(س): «فكان».

على لُزومِ هذه السُّورةِ في كلِّ ركعةٍ؟» فقالَ: إنِّي أُحِبُّها، فقال: «حُبُّكَ إيَّاها أدخَلَكَ الجنَّةَ»(١).

وخرَّجَه التِّرمذيُّ في «جامعه»، عن البُخاريِّ، عن إسماعيلَ بن أبي أُوَيسٍ، عن الدَّرَاوَرْدِيِّ، عن عُبَيدِ اللهِ بنِ عُمَرَ، بهِ، وغرَّبَه، وقال: روى مُبارَكُ بنُ فَضَالةَ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ، أنَّ رَجُلًا قالَ: يا رسولَ اللهِ! إنِّي أُحِبُّ هذه السُّورةَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قالَ: «إنَّ حُبَّكَ إيَّاها أدخَلَك الجنَّةَ»(٢).

وقد خرَّجَه أحمدُ في «المسند»، عن أبي النَّضرِ، عن مبارَكِ بنِ فَضالةَ به(٣).

وروى مالكٌ، عن عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ، عن عُبَيدِ بنِ حُنَينٍ قالَ: سمعتُ أبا هُرَيرةَ يقولُ: أقبلتُ مع النَّبيِّ ﷺ فسَمِعَ رَجُلاً يقرأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «وَجَبَت» قلتُ: ومَا وجَبَت؟ قال: «الجنَّةُ»(٤).

وأخرجَه النَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ وقالَ: حسَنٌ صحيحٌ لا نعرِفُه إلَّا مِن حديثِ مالكٍ(٥).

وروى أبو نُعَيم، مِن طريقِ عمرِو بنِ مَرزوقٍ، عن شعبةَ، عن مهاجرٍ: سمعتُ رجلاً يقولُ: صَحِبتُ رسولَ اللهِ ﷺ في سفرٍ، فسَمِعَ رجُلاً يقرأُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فقالَ: «قد بَرِئَ مِن الشِّركِ»، وسَمِعَ آخرَ يقرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالَ: «غُفِرَ له»(٦).

---

(١) علقه البخاري قبل الحديث (٧٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩٠١). وفيه: «يدخلك الجنة».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٤٣٢).

(٤) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه الترمذي (٢٨٩٧)، والنسائي (٩٩٤).

(٦) لم أجده عند أبي نعيم، لكن أخرجه الدارمي (٣٤٦٩) من حديث شعبة. =

ومِنها: أنَّها تَعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ؛ ففي «صحيح البخاريِّ» من حديثِ أبي سعيدٍ: أنَّ رجلاً سمعَ رجلاً يقرأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُردِّدُها، فلمَّا أصبح جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فذكر ذلك له وكأنَّ الرَّجُلَ يَتقالُّها، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «والذي نفسي بيدِه إنَّها لَتعدِلُ ثُلُثَ القرآنِ»[1].

وقد رُوِيَ عن أبي سعيدٍ، عن قتادةَ بنِ النُّعمانِ به[2].

وفي «صحيحِ البُخاريِّ» أيضًا مِن طريقِ الأعمشِ، عن إبراهيمَ النَّخعيِّ والضَّحَّاكِ المَشرقيِّ، عن أبي سعيدٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِه: «أيعجِزُ أحدُكم أن يقرأَ ثُلُثَ[3] القرآنِ في ليلةٍ؟» فشقَّ ذلك عليهم وقالوا: أيُّنا يُطيقُ ذلك يا رسولَ اللهِ؟! فقالَ: «اللهُ الواحدُ الصَّمدُ: ثُلُثُ القُرآنِ»[4].

وفي «المسند»، مِن طريقِ ابنِ لَهيعةَ، عن الحارثِ بنِ يزيدَ، عن أبي الهيثمِ، عن أبي سعيدٍ قالَ: باتَ قتادةُ بنُ النُّعمانِ يقرأُ الليلَ كلَّه بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فذُكِرَ ذلك للنَّبيِّ ﷺ فقالَ: «والذي نفسي بيدِه لَتعدِلُ نصفَ القُرآنِ ـ أو: ثُلُثَه ـ»[5].

= وأخرجه سعيد بن منصور في «سننه» ـ التفسير ـ (١٢٩)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٩٦٢)، والإمام أحمد في «المسند» (١٦٦٠٥) (١٦٦١٧)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٧٤). من وجوه أخرى عن مهاجر.

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣) (٦٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٤).

(٣) في (ج) و(ض): «بثلث».

(٤) أخرجه البخاري (٥٠١٥).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١١١١٥). والشك في آخره من الراوي، وصوابه: الثلث، وقد سبق آنفاً من حديث أبي سعيد عند البخاري.

وفي «المسند» أيضاً مِن طريق ابنِ لهيعةَ: حدَّثَنا حيي بنُ عبدِ اللهِ، عن أبي عبدِ الرَّحمنِ، عن عبدِ اللهِ بن عمرٍو: أنَّ أبا أيُّوبَ الأنصاريَّ كان في مجلسٍ وهو يقولُ: ألَا يَستطيعُ أحدُكم أن يقومَ[1] بثُلُثِ القرآنِ كلَّ ليلةٍ؟ فقالوا: وهل يستطيعُ ذلك أحدٌ، قالَ: فإنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلُثُ القرآنِ، قالَ: فجاءَ النَّبيُّ ﷺ وهو يسمَعُ أبا أيُّوبَ فقالَ: «صدَقَ أبو أيُّوبَ»[2].

وروى يحيى بنُ سعيدٍ، عن يزيدَ بنِ كيسانَ، عن أبي حازمٍ ـ قالَ التِّرمذيُّ: اسمُه سلمانُ ـ، عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «احشدُوا فإنِّي سأقرأُ عليكم ثلُثَ القُرآنِ»، فحُشِدَ مَن حُشِدَ، ثمَّ خرجَ نبيُّ اللهِ ﷺ فقرأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثمَّ دخلَ، فقالَ بعضُنا لبعضٍ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «فإنِّي سأقرأُ عليكم ثلُثَ القُرآنِ»، إني لأرى هذا خبرًا جاءَه مِن السَّماءِ، ثمَّ خرَجَ نبيُّ اللهِ ﷺ فقالَ: «إنِّي قلتُ: سأقرأُ عليكم ثلُثَ القُرآنِ، ألَا وإنَّها تَعدِلُ ثلُثَ القُرآنِ» أخرجَه مُسلمٌ[3].

وروى الإمامُ أحمدُ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ مهديٍّ، عن زائدةَ بنِ قُدامةَ، عن منصورٍ، عن هلالِ بنِ يَسَافٍ، عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيمٍ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي لَيْلى، عن امرأةٍ مِن الأنصارِ، عن أبي أيُّوبَ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أيَعجِزُ أحدُكم أن يقرأَ ثلُثَ القُرآنِ في ليلةٍ، فإنَّه مَن قرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ في ليلةٍ فقد قرَأَ ليلتَئذٍ ثلُثَ القُرآنِ»[4].

---

(١) في (ج): «يقرأ».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦٦١٣).

(٣) أخرجه مسلم (٨١٢) والترمذي (٢٩٠٠)، وقال: حسن صحيح غريب، وهو عند الإمام أحمد في «المسند» (٩٥٣٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٥٥٤).

ورواه النَّسائيُّ، والتِّرمذيُّ عن بُندارٍ، والتِّرمذيُّ عن قتيبةَ أيضاً، عن ابن مهديٍّ[١]، فهو لهما عُشاريٌّ ولأحمدَ تُساعيٌّ[٢].

وفي روايةِ التِّرمذيِّ: عن امرأةِ أبي أيُّوبَ، عن أبي أيُّوبَ، به، وذكر اختلافًا في إسنادِه.

وروى أحمدُ، عن هُشَيمٍ، عن حُصَينٍ، عن هلالِ بنِ يَسَافٍ، عن عبدِ الرَّحمنِ ابنِ أبي ليلى، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ ـ أو رجلٍ مِن الأنصارِ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن قرَأَ بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنَّما قرَأَ بثُلُثِ القُرآنِ»[٣].

ورواهُ النَّسائيُّ في «اليوم والليلة» مِن طريقِ هُشَيمٍ، عن حُصينٍ، عن ابنِ أبي ليلى، به، مِن غيرِ ذكرِ هلالِ بنِ يَسافٍ[٤].

وروى الإمامُ أحمدُ أيضًا، عن وكيعٍ، عن سُفيانَ، عن أبي قيسٍ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ، عن أبي مسعودٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدلُ ثُلُثَ القُرآنِ»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٦) وقال: حسن، والنسائي (٩٩٦).

(٢) وهو أنزل إسناد لهم، **وإنما اعتنى الحافظ المصنف رحمه الله بذكر هذا**، لأن هذا الحديث يعرف باسم حديث الستة من التابعين، حيث وقع في إسناده ستة من التابعين يروون عن بعضهم، وأفرد هذا الحديث الخطيب البغدادي بجزء يعرف بحديث الستة من التابعين جمع فيه طرقه والاختلاف فيه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٢٧٥) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٥).

(٤) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧١٠٦).

ورواه ابنُ ماجَه، والنَّسائيُّ في «اليوم والليلة» مِن طُرُقٍ[١]، وفي بعضِ طُرُقِه وقَفَه[٢].

ورواه أبو نُعَيمٍ مِن طريقِ مِسعَرٍ، عن أبي قيسٍ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ، عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ[٣]، كذا قالَ.

ومِن طريقِ شُعبةَ، عن أبي إسحاقَ، عن عمرِو بنِ مَيمونٍ، عن ابنِ مَسعودٍ[٤].

وروى أبو نُعَيمٍ مِن طريقِ عليِّ بنِ عاصمٍ، عن حُصَينٍ، عن هلالِ بن يَسَافٍ، عن رَبيعِ بنِ خُثَيمٍ، عن ابنِ أبي ليلى، عن كعبَ بنِ عُجرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في يومٍ وليلةٍ ثلاثَ مرَّاتٍ كانت تعدلُ ثُلُثَ القُرآنِ»[٥].

ورواه شعبةُ، عن عليِّ بن مُدرِكٍ، عن إبراهيمَ النَّخعيِّ، عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيمٍ، عن ابنِ مسعودٍ، عن النَّبيِّ ﷺ[٦].

وروى أبو نُعيمٍ: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ محمَّدِ بنِ يحيى، ثنا أحمدُ بنُ حمدونَ بنِ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧٨٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٩٣).

(٢) ذكره موقوفاً النسائي في «عمل اليوم والليلة» عقب الحديث (٦٩٢).

(٣) أخرجه مرفوعاً أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٥٤)، وأخرجه أيضاً الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٧٠٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٦٨).

(٥) أخرجه ابن البختري، وهو في «مجموع فيه مصنفات ابن البختري» (٢٧٦) (٧٤٨) من طريق علي بن عاصم، به. وهو ليس في مصنفات أبي نعيم المطبوعة، فلعله في «فضل سورة الإخلاص» له، والله أعلم.

(٦) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٥) بلفظ: «أيعجزُ أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن كل ليلة» قال: ومن يُطيق ذلك؟ قال: بلَى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١١٧) (٧/ ١٦٨).

رُستَم، ثنا عليُّ بنُ إِشْكَاب، ثنا شجاعُ بنُ الوليدِ، ثنا زيادُ بنُ خَيْثمةَ، عن محمَّد بنِ جُحَادةَ، عن الحسَنِ، عن أبي هُريرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلثُ القُرآنِ» قالَ إبراهيمُ: هكذا حدَّثَني به وكتبَه لي بخطِّه[1]، وإنما يُحفظُ [بـ]الإسناد: قراءةُ يس[2].

ورُوي مِن طريقِ يوسفَ بنِ عطيَّةَ الصَّفَّارِ، ثنا هارونُ بنُ كثيرٍ، عن زيدِ بن أسلمَ، عن أبيهِ، عن أبي أُمامةَ، عن أُبيِّ بنِ كعبٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن قرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنَّما قرَأَ ثلُثَ القُرآنِ، وكُتِبَ له مِن الحسَناتِ بعَددِ مَن أشرَكَ باللهِ وآمنَ به»[3].

وفي «صحيح مسلم» مِن طريقِ قتادةَ، عن سالمِ بنِ أبي الجعدِ، عن معدانَ بنِ أبي طلحةَ، عن أبي الدَّرداءِ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أيعجِزُ أحدُكم أن يقرَأَ كلَّ يومٍ

---

(١) تصحفت في (س) إلى: «أبي بحفظه»، وفي (ج) إلى: «لي بحفظه».

(٢) أي أن هذا الإسناد: زياد بن خيثمة، عن محمد بن جحادة، عن الحسن، عن أبي هريرة إنما يُعرف به حديثٌ في فضل سورة يس لا في قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٤٦٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٢٢٤)، وتمّام في «فوائده» (٩٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢٣٥) (٢٢٣٦)، وغيرهم، بلفظ: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله، غفر له في تلك الليلة».

وأحمد بن حمدون بن رستم هو الذي أخطأ فيه، كما قال إبراهيم بن محمد بن يحيى.

وقد انفرد بهذا الحديث أبو نعيم، وليس في الموجود من كتبه، فلعله في «فضل سورة الإخلاص» له، وهو في إحدى مكتبات القدس الشريف عجل الله خلاصه من اليهود وأذنابهم.

(٣) أخرجه أحمد بن منيع في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٧٩١). وأخرجه الحسن الخلال في «فضائل سورة الإخلاص» (٢٦) من طريق آخر عن زيد بن أسلم.

ثُلُثَ القرآنِ؟»، قالوا: نعم، قالَ: «فإنَّ[١] اللهَ جزَّأَ القرآنَ ثلاثةَ أجزاءٍ فـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلثُ القرآنِ»[٢].

وروى أُميَّةُ بنُ خالدٍ، عن ابن أخي ابنِ شهابٍ، عن عمِّه، عن حُمَيدِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ، عن أمِّه أمِّ كُلثومٍ بنتِ عُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِلُ ثلُثَ القرآنِ» رواهُ أحمدُ، والنَّسائيُّ في «اليوم والليلة»[٣].

ورواه أيضاً مِن طريقِ مالكٍ، عن الزُّهريِّ، عن حُمَيدٍ قولَه[٤].

ورواه أيضًا مِن طريقِ ابنِ إسحاقَ، عن الحارثِ بنِ فُضَيلٍ، عن الزُّهريِّ، عن حُمَيدٍ: أنَّ نفرًا مِن أصحابِ محمَّدٍ ﷺ حدَّثوهُ، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدِلُ ثلُثَ القرآنِ لِمَن صلَّى بها»[٥].

وروى الحافظُ أبو يعلى، عن قَطَنِ بنِ نُسَيْرٍ، عن عُبَيسِ بنِ مَيْمونٍ، عن يزيدَ الرَّقَاشِيِّ، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أما يَستطيعُ أحدُكم أن يقرأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاثَ مرَّاتٍ في ليلةٍ فإنَّها تعدِلُ ثلُثَ القُرآنِ»[٦]. إسنادٌ ضَعيفٌ.

ويُستدَلُّ به على أنَّ المُرادَ بكونِها تَعدِلُ ثلُثَ القُرآنِ: أجرُه وثَوابُه، كما يُستدَلُّ

---

(١) في (س): «إن».

(٢) أخرجه مسلم (٨١١).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٧٢٧٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٩٥).

(٤) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٩٧). وفي (س): «من قوله».

(٥) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٩٦).

(٦) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤١١٨). وفي (ض): «إسناده ضعيف».

بحديثِ أبي الدَّرداءِ المُتقدِّمِ على أنَّها جزءُ التَّوحيدِ مِن القُرآنِ، وأنَّه ثلاثةُ أجزاءٍ: توحيدٌ، وتشريعٌ، وقَصصٌ.

ومِنها: أنَّ قراءتَها تكفي مِن الشَّرِّ وتمنعُه، وقد ثبتَ في «صحيحِ البخاريِّ» عن عائشةَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوَى إلى فراشِه قرَأَها مع المُعوِّذَتين ومسحَ ما استطاع مِن جسَدِه(١).

وروى أبو داودَ، والتِّرمذيُّ، والنَّسائيُّ مِن طريقِ مُعاذِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خُبَيبٍ، عن أبيهِ: أن النَّبيَّ ﷺ قالَ له: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوِّذتينِ(٢) حين تُمسي وحين تُصبِحُ ثلاثًا تَكفِيكَ(٣) كلَّ يومٍ مرتين(٤)»(٥) وصحَّحَه التِّرمذيُّ.

ورواهُ النَّسائيُّ مِن طريقٍ أخرى، عن معاذٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ خُبَيبٍ، عن أبيهِ، عن عُقبةَ بنِ عامرٍ، فذكرَه(٦). ولفظُه: «تكفِكَ كلَّ شيءٍ».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٧)، (٥٧٤٨).

(٢) أصل الحديث: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ ليصلي لنا، فأدركناه، فقال: «قل» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل»، فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل» قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد...» فذكره.

(٣) في النسخ: «تكفك»، وفي المصادر: «تكفيك».

(٤) من (ض)، وفي (س) و(ج) بياض في مكانها.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد في زياداته على «المسند» (٢٢٦٦٤).

وأخرجه أبو داود (٥٠٤١)، والترمذي (٣٥٧٥) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي (٥٤٢٨)، جميعهم بلفظ: «تكفيك من كل شيء». وأخرجه النسائي (٥٤٢٩) بلفظ «ما تَعوَّذَ النَّاسُ بأفضلَ منهما».

(٦) أخرجه من هذا الطريق النسائي (٥٤٣٠) بلفظ: «مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ»، و(٥٤٣١) بلفظ: «لَمْ يَتَعَوَّذِ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لَا يَتَعَوَّذُ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ». لا باللفظ الذي عزاه إليه المصنف.

وقالَ البزَّارُ في «مسنده»: ثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجوهريُّ، ثنا غسَّانُ بنُ عُبَيدٍ، عن أبي عمرانَ الجَوْنيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا وضعتَ جنبَكَ على الفراشِ وقرأتَ فاتحةَ الكتابِ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقد أَمِنْتَ مِن كلِّ شيءٍ إلَّا الموتَ»(١).

ومنها: أنَّها أفضلُ سورةٍ في القرآنِ؛ فرَوى الدَّارميُّ في «مسنده» عن أبي المغيرةِ، عن صفوانَ، عن أيفعَ بنِ عبدٍ الكَلَاعيِّ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ سُوَرِ القُرآنِ أعظَمُ؟ قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»(٢).

وفي «المسند» مِن طريقِ مُعانِ(٣) بنِ رفاعةَ، عن عليِّ بنِ يزيدَ، عن القاسمِ، عن أبي أُمامةَ، عن عُقبةَ بنِ عامرٍ قالَ: قالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: «ألا أُعَلِّمُك خيرَ ثلاثِ سُوَرٍ أُنزلَت في التَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبُورِ والقُرآنِ العظيمِ؟» قلتُ: بلى، قالَ: فأقرَأَني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثم قالَ لي: «يا عُقبةُ! لا تَنساهُنَّ(٤) ولا تَبِتْ ليلةً حتَّى تقرَأَهُنَّ»(٥).

وروى التِّرمذيُّ بعضَ هذا الحديثِ وحسَّنَه(٦).

ورواه أحمدُ أيضًا بطولِه مِن طريقِ أُسَيدِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ الخَثْعَميِّ، عن فروةَ بنِ مُجاهدٍ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ به(٧).

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٧٣٩٣).

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (٣٤٢٣). وهو مرسل معضل.

(٣) تحرفت في النسخ إلى: «معاذ».

(٤) الألف هنا للإشباع.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣٣٤) وفيه قصة.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦) وهو طرف آخر منه، وإنما ذكره المصنف لتحسين الترمذي له.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٤٥٢).

ومنها: أنَّ الدُّعاءَ بها مُستجابٌ؛ ففي السُّنَنِ الأربعةِ عن عبدِ اللهِ بن بُريدةَ، عن أبيهِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يُصلِّي يدعو يقولُ: اللهمَّ إني أسألُكَ بأنِّي أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا أنتَ الأحَدُ الصَّمَدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكُن له كفُوًا أحدٌ، قال[1]: «والذي نفسي بيَدِه لقد سألَه باسمِه الأعظمِ، الذي إذا سُئِلَ به أعْطى وإذا دُعِيَ به أجابَ». قالَ التِّرمذيُّ: حسَنٌ غريبٌ[2].

وفي «المسند»، عن مِحجَنِ بنِ الأدرَعِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ المسجِدَ فإذا هو برجُلٍ قد قضى صلاتَه وهو يتشهَّدُ ويقولُ: اللهمَّ إنِّي أسألُك باللهِ[3] الواحِدِ الأحَدِ الصَّمَدِ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكُنْ له كُفُوًا أحَدٌ أن تغفِرَ لي ذُنوبي إنَّكَ أنتَ الغَفورُ الرَّحيمُ، فقالَ نبيُّ اللهِ ﷺ ثلاثَ مرَّاتٍ: «قد غُفِرَ له، قد غُفِرَ له، قد غُفِرَ له»[4].

وقد وردَ في تكرارِ قراءتِها خمسينَ مرَّةً وأكثرَ مِن ذلك، وعشرَ مرَّاتٍ عقيبَ كلِّ صلاةٍ أحاديثُ كثيرةٌ فيها ضعفٌ، وكذلك حديثُ مُعاويةَ بنِ مُعاويةَ اللَّيثيِّ، خرَّجَه الطَّبَرانيُّ، وأبو يَعْلى مِن طُرُقٍ كلُّها ضعيفةٌ[5]. فلم نذكُرْها[6].

---

(١) في (س) «فقال».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٠٤١)، وأبو داود (١٤٨٨) و(١٤٨٩)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٥٢)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩١).

(٣) في (س): «بأنك» وهو خطأ مخالف لما في «المسند».

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٩٧٤).

(٥) أخرجه من حديث أنس بن مالك: ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ١٣٠)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٧١) (٢٧٣)، وأبو يعلى (٤٢٦٧) (٤٢٦٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٨١٠)، قال ابن حبان: «حديث منكر» «ولست أحفظ في أصحاب رسول الله ﷺ أحداً يقال له: معاوية بن معاوية الليثي».

والحديث أن ذلك الرجل مات فأضاءت الشمس يوم موته فسأل ﷺ جبريل، فأخبره بموت الرجل ونزول الملائكة للصلاة عليه، وزوى له الأرض حتى صلى عليه وذلك لإكثاره من قراءة هذه السورة.

(٦) وقد جمع بعضها ابن كثير في «تفسيره».

وأمَّا سببُ نُزولِها

ففي «المسند»، والتِّرمذيِّ، عن أبي سعدٍ[١] الصَّاغانيِّ محمَّدِ بنِ مُيسَّرٍ[٢]، عن أبي جعفرٍ الرَّازيِّ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ، عن أبي العاليةِ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ: أنَّ المشركينَ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: انسُب لنا ربَّك يا محمَّدُ، فأنزلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣].

ورواه التِّرمذيُّ، مِن طريقِ عبيدِ اللهِ بنِ موسى، عن أبي جعفرٍ، عن الرَّبيعِ، عن أبي العاليةِ مُرسَلاً، وقالَ: هذا أصَحُّ مِن حديثِ أبي سعدٍ[٤].

وروى أبو يَعلى الموصليُّ، والطَّبَرانيُّ، وابنُ جريرٍ، مِن طريقِ سُرَيجِ بنِ يونسَ، عن إسماعيلَ بنِ مجالدٍ، عن مجالدٍ، عن الشَّعبيِّ، عن جابرٍ: أنَّ أعرابيًّا جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: انسُب لنا ربَّكَ، فأنزلَ اللهُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرِها[٥]. ورُوِيَ مُرسَلاً[٦].

وروى عبيدُ بنُ إسحاقَ العطَّارُ، عن قيسِ بنِ الرَّبيعِ، عن عاصمٍ، عن

---

(١) تصحف في النسخ إلى: «أبي سعيد».

(٢) تصحف في النسخ إلى: «مبشر».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٦٥).

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (١١٨٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٠٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٨)، والطبراني في «الأوسط» (٥٦٨٧)، وابن عدي في «الكامل» في ترجمة إسماعيل بن مجالد.

(٦) لم أقف على من رواه مرسلًا من حديث الشعبي.

أبي وائلٍ، عن ابنِ مسعودٍ قالَ: قالتَ قُرَيشٌ لرسولِ اللهِ ﷺ: انسُب لنا ربَّك، فنزلَتْ هذه السُّورةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قالَ الطَّبرانيُّ: ورواه الفِريابيُّ وغيرُه، عن قيسٍ، عن عاصمٍ، عن أبي وائلٍ مُرسَلاً(١).

وروى ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره»: حدَّثنا أبو زُرعةَ، ثنا العبَّاسُ بنُ الوليدِ، ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ [عَنْ سعيدٍ، عن قتادة: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ قال: إنَّ الله لا يكافِئُه من خَلْقه أحد](٢).

ثنا عليُّ بنُ الحُسَينِ، ثنا أبو عبدِ اللهِ الحَرَشيُّ، ثنا أبو خلَفٍ عبدُ اللهِ بنُ عيسى، ثنا داودُ بنُ أبي هندٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ اليهودَ جاءت إلى النَّبيِّ ﷺ ـ منهم حُيَيُّ بنُ أخطبَ، وكعبُ بنُ الأشرَفِ ـ فقالوا: يا محمَّدُ! صِف لنا ربَّكَ الذي بعَثَك، فأنزلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ﴾ فيَخرجَ منه الولَدُ ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيخرُجَ مِن شيءٍ(٣).

* * *

---

(١) نقله ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٥١٦)، وابن كثير في «تفسيره». وسبق أنهما ينقلان من كتاب «السنة» للطبراني، وهو مفقود.

ومرسل أبي وائل أخرجه أيضاً من طريق قيس: أبو الشيخ في «العظمة» (٨٩).

(٢) لا تعلق لهذا الخبر بسبب النزول، لكن جاء أول الإسناد في جميع النسخ، وسقط آخره مع متنه، وأُدرِجَ الإسناد التالي مع أول الذي قبله. فهل سبقَ نظرُ المصنف رحمه الله أم هو ينقل من نسخة فيها سقط؟ وهو من قسم مفقود من «تفسير ابن أبي حاتم».

والمصنف رحمه الله إنما نقله من كلام لابن تيمية، وهو في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٧) له، ومنه استدركنا النقص بين معقوفين.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، وهو في المفقود منه، وابن عدي في «الكامل» في ترجمة أبي خلف عبد الله بن عيسى الخزاز مختصراً، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٦)، كلاهما من طريق الحرشي به. وأورده ابن تيمية في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٧ ـ ١٨). ومنه نقل المصنف.

وأمَّا التَّفسيرُ:

فقولُه: ﴿قُلْ﴾ هذا افتتاحٌ للسُّورةِ بالأمرِ بالقولِ كما في المُعوِّذتينِ وسورةِ الجنِّ، وقد سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ، عن المعوِّذتينِ فقالَ: «قيل لي فقلتُ»[1]، وذلك إشارةٌ منه ﷺ إلى أنَّه مُبلِّغٌ محضٌ لِمَا يوحَى إليه ليس فيه تصرُّفٌ فيما أوحاهُ اللهُ إليه بزيادةٍ ولا نقصٍ، وإنَّما[2] هو مُبلِّغٌ لكلامِ ربِّهِ كما أوحاه إليهِ، فإذا قالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كان امتثالاً للقولِ الذي قيلَ له بلفظِه لا بمعناه.

و﴿هُوَ﴾ اسمٌ مُضمَرٌ، قيل: إنَّه ضميرُ الشَّأنِ، وقيل: لا.

و﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إن قيل: ﴿هُوَ﴾ ضميرُ الشَّأنِ، فالجملةُ مُبتدأٌ وخبرٌ.

وإن قيلَ: لا، ففيه وجهانِ:

أحدُهما: أنَّ ﴿هُوَ﴾ مبتدأٌ، و﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، وهما[3] خبرٌ للمبتدأِ الأوَّلِ، ولا حاجةَ فيه إلى رابطٍ لأنَّ الخبرَ هو المبتدأُ بعينِه.

والثَّاني: أنَّ ﴿هُوَ﴾ مبتدأٌ و﴿الله﴾ خبرُه، و﴿أَحَدٌ﴾ بدلٌ منه.

و﴿أَحَدٌ﴾ اسمٌ مِن أسماءِ اللهِ يُسمَّى اللهُ به، ولا يُسمَّى غيرُه مِن الأعيانِ به، فلا يُسَمَّى شيءٌ مِن الأشياءِ أحَدًا[4] في الإثباتِ إلَّا في الأعدادِ المُطلَقَةِ، وإنَّما يُسَمَّى به في النَّفيِ وما أشبهَه مِن الاستفهامِ والنَّهيِ والشَّرطِ، كقولِه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وقولِه: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨]،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٦) من حديث أبيٍّ رضي الله عنه، وهو السائل.

(٢) في (ج): «فإنما».

(٣) في (س): «وخبرهما».

(٤) في (ج): «أحد».

وقولِه: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقولِه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦] ونحوِه.

والأحدُ: هو الواحدُ في إلهيَّته ورُبوبيَّته[١].

وفسَّره أهلُ الكلامِ بما لا يتجزَّأُ ولا يَنقسِمُ، فإن أُريدَ بذلك أنَّه ليس مُؤلَّفاً مُركَّباً من أجزاءٍ مُتفرِّقةٍ فصحيحٌ، أو أنَّه غيرُ قابلٍ للقسمةِ فصحيحٌ، وإن أريدَ أنَّه لا يتميَّزُ منه شيءٌ عن شيءٍ، وهو المرادُ بالجسمِ عندهم فباطلٌ[٢].

---

(١) نقله الآلوسي في «روح المعاني» ط: الرسالة (٢٩/ ٤٤٠) عن المصنف، ثم قال: فلا معبود ولا رب سواه عز وجل. واختار ـ أي ابن رجب ـ بعد وصفه تعالى بما ورد له سبحانه من الصفات أن المراد الواحدية الكاملة، وذلك على الوجهين: كون الضمير للشأن، وكونه للمسؤول عنه، ولا يصح أن يراد الواحد بالعدد أصلاً، إذ يخلو الكلام عليه من الفائدة. اهـ

(٢) هذا مستفاد من كلام ابن تيمية، انظر: «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية (١٦٧ ـ ١٦٨)، و«التسعينية» (٣/ ٧٨٠).

وقال المصنف رحمه الله في «بيان فضل علم السلف على علم الخلف»: والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل، ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك البتة، خصوصاً الإمام أحمد، ولا خوضاً في معانيها، ولا ضرب مثل من الأمثال لها.

وإن كان بعض من كان قريباً من زمن أحمد فيهم من فعل شيئاً من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل [أي من أثبت لإثبات الصفات: الجسم إما لفظاً وإما معنى، ومنهم من أثبت لله صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة] فلا يُقتدى به في ذلك. إنما الاقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ونحوهم.

وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلاً عن كلام الفلاسفة.

انتهى كلامه رحمه الله بإضافة ما بين معقوفين من كلام له سبقه، فهو من شرح كلامه بكلامه.

والله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قالَ ابنُ عقيلٍ: الذي يَصِحُّ مِن قولِنا مع إثباتِ الصِّفاتِ[١]: أنَّه واحدٌ في إلهيَّتِه لا غير.

والأحدُ هو الواحِدُ؛ قالَ ابنُ الجوزيِّ: قالَه ابنُ عبَّاسٍ وأبو عُبيدةَ.

وفرَّقَ قومٌ بينهما؛ قالَ الخطَّابيُّ: الفرقُ بين الأحدِ والواحدِ: أنَّ الواحدَ هو المُنفرِدُ بذاتِه فلا يُضاهيهِ أحَدٌ، والأحَدُ هو المنفردُ بصِفاتِه ونُعوتِه فلا يُشارِكُه فيها أحَدٌ[٢].

وقيل: بينهما فرقٌ آخرُ، وهو: أنَّ الأحدَ في النَّفيِ نَصٌّ في العُمومِ بخلافِ الواحدِ فإنَّه مُحتمِلٌ للعُمومِ وغيرِه، فتقولُ: ما في الدَّارِ أحدٌ، ولا يُقالُ: بل اثنانِ، ويجوزُ أن يُقالُ: ما في الدَّارِ واحدٌ بلِ اثنانِ.

وفرَّقَ بعضُ فقهاءِ الحنفيَّةِ بينهما، فقالَ: الأحديَّة لا تحتمِلُ الجُزئيَّةَ[٣] والعَدَديَّةَ بحالٍ، والواحدُ يَحتمِلُهما؛ لأنه يُقالُ: مئةٌ واحدةٌ وألفٌ واحدةٌ، ولا يُقالُ: مئةٌ أحدٌ، ولا: ألفٌ أحدٌ.

وبُنِيَ على ذلك مسألةُ محمَّدِ بنِ الحسَنِ التي ذكرَها في «الجامع الكبير»: إذا كان لرجُلٍ أربعُ نسوةٍ، فقال: واللهِ لا أَقرَبُ واحدةً منكنَّ، صار مُوْليًا منهنَّ جميعًا، ولم يَجُزْ له أن يقربَ واحدةً منهنَّ إلا بكفَّارةٍ، ولو قالَ: واللهِ لا أقربُ إحداكنَّ، لم يَصِرْ مُوْليًا إلا مِن إحداهنَّ، والبيانُ إليه[٤].

---

(١) نقله الآلوسي، عن المصنف بلفظ: الذي يصح لنا من القول مع إثبات الصفات. انظر: «روح المعاني» ط: الرسالة (٢٩/ ٤٤٠).

(٢) «شأن الدعاء» للخطابي (ص: ١٥٨) وفيه: «لا يضامُّه» مكان: «لا يضاهيه».

(٣) في (س): «الحيزية». تصحيف.

(٤) «الجامع الكبير»، للإمام محمد بن الحسن (ص: ٦٧).

وقالَ العَسكريُّ: أصلُ (أحد): أوْحَد مثلَ أكْبَر، وأُحدى مثلَ كُبرى، فلمَّا وقَعا اسمينِ وكانا كثيرَي الاستعمالِ هرَبوا[1] إلى الكسرةِ ليَخِفَّ، وحذَفوا الواوَ ليُفرِّقوا بين الاسمِ والصِّفَةِ، وذلك أنَّ أوحَدَ اسمٌ وأكبرَ صفةٌ، والواحدُ فاعِلٌ مِن وَحَدَ يَحِدُ وهو واحِدٌ، مثلَ: وَعَدَ يَعِدُ فهو واعِدٌ[2].

* * *

*سؤالٌ: قولُه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ولم يقُل: الأحَدُ، كما قالَ: الصَّمَد؟.

جوابُه: أنَّ الصَّمَدَ يُسمَّى به غيرُ اللهِ كما يأتي ذكرُه، فأتى فيه بالألِفِ واللَّامِ ليَدُلَّ على أنَّه سبحانَه هو المستحِقُّ لكمالِ الصَّمَديَّةِ؛ فإنَّ الألِفَ واللَّامَ تأتي لاستغراقِ الجنسِ تارةً ولاستغراقِ خَصائصِه أخرى، كقولِه: زيدٌ هو الرَّجلُ؛ أي: الكاملُ في صفاتِ الرُّجوليَّةِ، فكذلك قولُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؛ أي: الكامِلُ في صفاتِ الصَّمَديَّةِ، وأمَّا الأحَدُ فلم يَتَسَمَّ بهِ غيرُ اللهِ، فلم يُحتَجْ فيه إلى الألفِ واللَّامِ.

* * *

قولُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أعادَ الاسمَ المبتدأَ تأكيدًا للجُملةِ، وخبرُه: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وقيل: هو نعتٌ والخبرُ ما بعدَه.

و﴿ٱلصَّمَدُ﴾ اختلفَتْ عِباراتُ السَّلَفِ في معناه، وهي مُتقارِبةٌ أو مُتَّفقةٌ، والمشهورُ مِنها قولانِ:

أحدُهما: أنَّ الصَّمَدَ: هو السَّيِّدُ الذي يَصمدُ إليه الخلقُ في حَوائجِهم ومَطالبِهم، وهذا مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ[3] وغيرِه مِن السَّلفِ.

---

(١) أي في «أُحدى». والكلمة ثابتة في المصدر.

(٢) «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ١٤١).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦٣٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٧١).

وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٣٥) من طريق عطاء، عن ابن عباس مرفوعًا.

قالَ ابنُ الأنباريُّ: لا خِلافَ بين أهلِ اللُّغةِ أنَّ الصَّمَدَ: السَّيِّدُ الذي ليس فوقَه أحدٌ، الذي يَصمدُ إليه النَّاسُ في حَوائجِهم وأُمورِهم(١).

وقالَ الزَّجَّاجُ: هو الذي يَنتهي إليه السُّؤدَدُ(٢). فقد صمَدَ له كلُّ شيءٍ، أي: قصَدَ قَصْدَهُ، وأنشدوا:

لقد بكَّرَ النَّاعي بخَيْرَي بَنِي أَسَدْ بعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وأنشدُوا أيضًا:

عَلَوْتُه بحُسامِي ثَمَّ قلتُ له: خُذْها حُذَيْفَ فأنتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ(٣)

وفي «تفسيرِ ابن أبي حاتمٍ» بإسنادِه، عن عكرمةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: الصَّمدُ: الذي تصمدُ إليه الأشياءُ إذا نزلَ بهم كُربَةٌ أو بلاءٌ(٤).

وعن إبراهيمَ قالَ: الذي يَصمُدُ إليه العِبادُ في حَوائجِهم(٥).

---

(١) «الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري (١/ ٨٣).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٧). والبيت ذكره ابن عباس رضي الله عنهما عن الأسدية، كما في «معجم الطبراني الكبير» (١٠٥٩٧)، وذلك في أجوبته على سؤالات نافع بن الأزرق وهي هند بِنْتُ مَعْبَدِ بْنِ نَضْلَةَ تَبْكِي عَمْرَو بْنَ مَسْعُودٍ، وَخَالِدَ بْنَ نَضْلَةَ، عَمَّيْهَا الْأَسَدِيَّيْنِ اللذين قتلهما المنذر بن ماء السماء كما في «السيرة النبوية» (١/ ٥٧٢).

(٣) البيت لعمرو بن الأسلع يعني حذيفة بن بدر، كما في «الحماسة الصغرى» لأبي تمام (ص: ١٢٢)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١٣/ ١٣٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٨٤). وذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٢٤/ ٤٤٣).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٩٢)، وعزاه ابن تيمية إلى ابن أبي حاتم في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٥)، وذكر إسناد ابن أبي حاتم إلى ابن عباس.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٨٧)، وعزاه ابن تيمية إلى ابن أبي حاتم في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٦) وذكرَ إسنادَه.

وعن عليِّ بنِ أبي طلحةَ، عن ابن عبَّاسٍ قالَ: الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الذي قد كمَلَ في سُؤدَدِه، والشَّريفُ الذي قد كَمَلَ في شرَفِه، والعظيمُ الذي قد كمَلَ في عَظَمتِه، والحليمُ الذي قد كمَلَ في حِلمِه، والعليمُ الذي قد كمَلَ في علمِهِ، والحكيمُ الذي قد كمَلَ في حِكمتِه، وهو الذي قد كمَلَ في أنواعِ الشَّرفِ والسُّؤدَدِ، وهو اللهُ سبحانَه هذه صِفتُه لا تنبغي إلَّا له، ليس له كُفْءٌ وليس كمثلِه شيءٌ، سبحانَ اللهِ الواحدِ القهَّارِ[1].

والقولُ الثَّاني: أنَّ الصَّمَدَ: الذي لا جوفَ له[2]، وأنَّه الذي لا يأكلُ ولا يشرَبُ[3]، أو الذي لا حشوَ له[4]، أو أنَّه الذي لا يدخلُ فيهِ شيءٌ ولا يخرجُ منه شيءٌ[5]، ونحوُ هذه العباراتِ المتقاربةِ في المعنى[6]، ورُوِيَ ذلك عن ابنِ مسعودٍ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٦)، وعزاه لابن أبي حاتم: ابن تيمية في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٦).

(٢) أخرجه من كلام ابن مسعود: ابن أبي حاتم في «العلل» (٤/ ٦٩٩) وعزاه إلى ابن مسعود: ابن تيمية في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٦).
وروى ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٦) عن ابن مسعود: «الصمد: السيد الذي قد انتهى سؤدده».
وأخرجه من كلام ابن عباس: ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١ - ٧٣٣).

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٧)، والطبري (٢٤/ ٧٣٣) من كلام سعيد بن المسيب.

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٧-٦٦٨-٦٦٩-٦٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٤) من كلام عكرمة.

(٦) في حاشية (س) و(ض): «قال الطبراني والبيهقي: كل ما قيل في تفسير هذه اللفظة حق مراد، وهذا قد ينبني على حمل المشترك على معانيه ا هـ».
نقل كلام الطبراني: ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٨١) (٧/ ٥٣٤)، وابن كثير في تفسير سورة الإخلاص، وعزا نحوه للبيهقي. والذي وجدته عند البيهقي: «وأصح ما قيل فيه ما يشهد له معنى الاشتقاق». قاله في «الأسماء والصفات».

وقد سبقَ في حديثِ أبي هُريرةَ المذكورِ في أوَّلِ تفسيرِ السُّورةِ: والصَّمَدُ: الذي ليس بأجوَفَ[١].

وروَى ابنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتمٍ، مِن طريقِ عُبَيدِ اللهِ بنِ سعيدٍ قائدِ الأعمشِ: حدَّثني صالحُ بن حيَّانَ، عن عبدِ اللهِ بنِ بُرَيدةَ، عن أبيه ـ قالَ: لا أعلَمُه إلَّا قد رفَعَه ـ قالَ: «الصَّمَدُ: الذي لا جوفَ له»[٢].

وعن أبي عبدِ الرَّحمنِ السُّلَميِّ عن ابنِ مَسعودٍ قالَ: الصَّمَدُ ليس له أحشَاءٌ[٣]. ورُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ أيضًا[٤].

وعن عِكرمةَ قال: الصَّمَدُ: الذي لا يَطعَمُ[٥]، وعنه: الصَّمَدُ الذي لم يخرُج منه شيءٌ[٦].

وعن الشَّعبيِّ: الصَّمَدُ: الذي لا يأكلُ ولا يشرَبُ[٧].

---

(١) وقد سبق تخريجه ثمة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٣)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية (ص: ١٦ ـ ١٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٦٢)، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «وهذا غريب جدًّا، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية (ص: ١٦)، والطبراني في «السنة» كما في «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (١/ ٢٨٠)، (٧/ ٥٢٥).

(٤) ذكره ابن تيمية في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٨٠).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية (ص: ١٧).

(٦) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٧). وسبق تخريجه.

(٧) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٤٧ ـ تكملة التفسير)، وابن أبي عاصم في «السنة»، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٢ ـ ٧٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٣).

وعن مجاهدٍ: هو المُصمَتُ الذي لا جوف له[١].

وقالت طائفةٌ: الصَّمَدُ: الذي لم يَلِد ولم يُولَد، كأنَّهم جعلوا ما بعدَه تفسيرًا له، وهو ممَّا تقدَّمَ: أنَّه الذي لم يَنفصِلْ منه شيءٌ، ورُوِي ذلك عن أُبيِّ بنِ كعبٍ[٢]، والرَّبيعِ بنِ أنسٍ[٣].

وتوجيهُ ذلك: أنَّ الولادةَ والتَّولُّدَ إنَّما يكونُ مِن أصلينِ، وما كان عَيْناً قائماً بنفسِه مِن المُتولِّداتِ فلا بدَّ له مِن مادَّةٍ يخرجُ مِنها، وما كان عَرَضاً قائماً بغيرِه فلا بُدَّ له مِن محَلٍّ يقومُ به، فالأوَّلُ نفاهُ بقولِه: ﴿أَحَدٌ﴾؛ فإنَّ الأحدَ هو الذي لا كُفْءَ له ولا نظيرَ، فيَمتنِعُ أن يكونَ له صاحبةٌ، والتَّولُّدُ إنَّما يكونُ بين شيئينِ، وكونُه تعالى أحداً ليس أحدٌ[٤] كُفُواً له يَستلزِمُ أنَّه لم يَلِد ولم يُولَد؛ لأنَّ الوالدَ والولَدَ مُتماثِلانِ مُتكافئانِ، وهو تعالى أحَدٌ لا كفءَ له.

وأيضاً: فالتَّولُّدُ يَحتاجُ إلى زوجةٍ، وهي مُكافِئةٌ لزَوجِها مِن وجهٍ، وذلك أيضاً مُمتنِعٌ، ولهذا قالَ تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] وقد فسَّرَ مُجاهِدٌ الكفءَ هاهنا بالصَّاحبةِ[٥].

---

(١) «تفسير مجاهد» (ص: ٧٦٠)، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٣)، (٦٧٤)، (٦٧٦)، وعزاه ابن تيمية إلى ابن أبي حاتم في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٦).

(٢) ورد هذا ضمن الحديث الذي أخرجه الترمذي (٣٣٦٤) عن أُبيِّ بن كعبٍ: «أنَّ المشركينَ قالوا لرسولِ الله ﷺ: انْسُبْ لنا رَبَّك، فأنزلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾. فالصَّمدُ: الذي لَمْ يَلِدْ ولم يُولد، لأنَّه ليس شيءٌ يُولدُ إلَّا سيموتُ، وليس شيءٌ يموتُ إلَّا سيُورَثُ، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يموتُ ولا يُورَثُ..» الحديث.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية (ص: ١٦).

(٤) في (ج): «وكونه تعالى أحد ليس أحداً».

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٩).

وأمَّا الثَّاني: وهو انفصالُ المادَّةِ، فنفاهُ سُبحانَه بأنَّه الصَّمَدُ، وهذا المُتولِّدُ مِن أصلينِ إنَّما يتكوَّنُ مِن جُزأينِ يَنفصلانِ مِن الأصلينِ كتولُّدِ الحيوانِ مِن أبيهِ وأمِّهِ بالمنيِّ الذي يَنفصِلُ منهما، وكالنَّارِ المتولِّدةِ مِن بين الزَّندينِ سواءٌ كانا خَشَبينِ أو حَجَرينِ أو حَجَراً وحَديداً، وهو سبحانَه صمَدٌ لا يخرجُ منه شيءٌ مُنفصِلٌ عنه.

والحيوانُ نوعانِ:

مُتوالدٌ: وهو ما ولَدُه مِن جنسِه، وهو الإنسانُ، وما يُخلَقُ مِن أبوَينِ مِن البهائمِ والطَّيرِ وغيرِهما.

ومُتولِّدٌ: وهو ما يُخلَقُ[1] مِن غيرِ جنسِه كدُودِ الفاكهةِ والخَلِّ، وكالقَملِ المُتوَلِّدِ مِن الوسَخِ، والفأرِ والبراغيثِ وغيرِ ذلك ممَّا يُخلَقُ مِن التُّرابِ والماءِ، وإنَّما يَتولَّدُ مِن أصلينِ أيضاً كما خُلِقَ آدمُ مِن تُرابٍ وماءٍ، وإلَّا فالتُّرابُ المحضُ الذي لم يُختلَط[2] به ماءٌ لا يُخلَقُ[3] منه شيءٌ، لا حيَوانٌ ولا نَباتٌ.

والنَّباتُ جميعُه إنَّما يتولَّدُ مِن أصلينِ أيضاً، والمسيحُ عليه السَّلامُ خُلِقَ مِن مريمَ ونفخةِ جبريلَ، وهي حمَلَتْ به كما تحملُ النِّساءُ ووَلَدته، فلهذا يُقالُ له: ابنُ مريمَ؛ بخِلافِ حوَّاء فإنها خُلِقَت مِن ضِلَعِ آدمَ فلا يُقالُ: إنَّه أبوها، ولا هي وَلَدُه، وكذلك سائرُ المُتولِّداتِ مِن غيرِهما، كما أنَّ آدمَ لا يُقالُ: إنَّه ولَدُ التُّرابِ ولا الطِّينِ.

والمُتولِّدُ مِن جنسِه أكمَلُ مِن المُتولِّدِ مِن غيرِ جنسِه، ولهذا كان خلقُ آدمَ أعجبَ مِن خلقِ أولادِه.

---

(١) في (ج): «يخرج».

(٢) في (ض): «يخلط».

(٣) في (ج): «لم يخلق».

فإذا نُزِّهَ الرَّبُّ عن المادَّةِ العليا[1] وهي المتولِّد[2] مِن النَّظيرِ، فتنزيهُه عن تولُّده مِن غيرِ النَّظيرِ أولى، كما أنَّ تنزيهَه عنِ الكُفءِ تنزيهٌ له عن أن يكونَ غيرُه أفضَلَ منه بطريقِ الأَولى.

فتبيَّنَ أنَّ ما يُقالُ: إنَّه مُتولِّدٌ مِن غيرِه مِن الأعيانِ القائمةِ بنفسِها لا يكونُ إلَّا مِن مادَّةٍ تَخرجُ مِن ذلك الوالدِ ولا تكونُ إلَّا مِن أصلَينِ، والرَّبُّ تعالى صَمَدٌ، فيَمتنِعُ أن يخرجَ منه شيءٌ، وهو سبحانَه لم يكن له صاحبةٌ فيَمتنِعُ أن يكونَ له ولَدٌ.

وأمَّا تولُّدُ الأعراضِ؛ كتولُّدِ الشُّعاعِ، وتَولُّدِ العلمِ عن الفكرةِ، والشِّبَعِ عن الأكلِ، والحرارةِ عن الحركةِ، ونحوِ ذلك، فهذا ليس مِن تولُّدِ الأعيانِ، مع أنَّ هذا لا بُدَّ له مِن محَلٍّ، ولا بُدَّ له مِن أصلينِ؛ كالشُّعاعِ فإنَّه يحتاجُ إلى مُحاذاةِ جسمٍ نُورِيٍّ لجسمٍ آخرَ يُقابِلُه يَنعكِسُ عليه شعاعُه.

فقد تضمَّنَت هذه السُّورةُ العظيمةُ نفيَ نوعينِ عنِ اللهِ:

أحدُهما: المماثلةُ، ودلَّ على نفيِها قولُه تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ مع دلالةِ قولِه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ على ذلك؛ لأنَّ أَحَدِيَّتَه تقتضي أنَّه مُتفرِّدٌ بذاتِه وصِفاتِه فلا يُشارِكُه في ذلك أحدٌ.

والثَّاني: النَّقائصُ والعُيوبُ، وقد نفى منها التَّوَلُّدَ مِن الطَّرَفينِ، وتضمَّنَت إثباتَ جميعِ صفاتِ الكمالِ بإثباتِ الأَحَدِيَّةِ والصَّمَدِيَّةِ، فالصَّمَدِيَّةُ تُثبِتُ الكمالَ المُنافي

---

(١) في (ج): «العلو» ويحتمل أن تقرأ: العلق، وفي (ض): «العل» وفي (س) رسمها رسماً: «العلى»، وكتب في الحاشية: «بياض» والصواب ـ والله أعلم ـ ما أثبتناه اعتماداً على ما في «تفسير سور الإخلاص» لابن تيمية (ص: ١٦٩).

ومنه نقل المصنف رحمه الله هذه المسائل والمباحث كلها.

(٢) في (ض): «التولد».

للنَّقائصِ، والأَحَديَّةُ تُثبِتُ الانفرادَ بذلك، فإنَّ الأَحَديَّة تقتضي انفرادَه بصِفاتِه وامتيازَه عن خلقِه بذاتِه وصفاتِه، والصَّمَديةُ إثباتُ جميعِ صفاتِ الكَمالِ ودَوامِها وقِدَمِها؛ فإنَّ السَّيِّدَ الذي يُصمَدُ إليه لا يكونُ إلَّا مُتَّصِفاً بجميعِ صفاتِ الكمالِ التي استَحقَّ لأجلِها أن يكون صمَداً، وأنَّه لم يَزَل كذلك ولا يَزالُ؛ فإنَّ صَمَديَّتَه مِن لَوازمِ ذاتِه لا تنفكُّ عنه بحالٍ.

ومن هنا فُسِّرَ الصَّمَدُ بالسَّيِّدِ الذي قد انتهى سُؤدَدُه(١).

وفسَّرَه عكرمةُ بالذي ليس فوقَه أحدٌ(٢). ورُوِيَ عن عليٍّ(٣).

وعن كعبٍ: أنَّه الذي لا يُكافِئُه أحدٌ في خلقه(٤).

وعن أبي هُريرةَ قالَ: هو المُستغني عن كلِّ أحدٍ المحتاجُ إليه كلُّ أحدٍ(٥).

وعن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قالَ: هو الكاملُ في جميعِ صفاتِه وأفعالِه(٦).

وعن الرَّبيعِ قالَ: هو الذي لا تعتريهِ الآفاتُ(٧).

وعن مقاتلِ بنِ حيَّانَ قالَ: هو الذي لا عيبَ فيهِ(٨).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٦) عن ابن مسعود. وقد تقدم ذكره.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٣٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٨).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٢).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٨).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥)، والماوردي في «النكت» (٦/ ٣٧١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٨).

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٢).

وعن ابنِ كيسانَ: هو الذي لا يوصَفُ بصفتِه أحدٌ[١].

وعن قتادةَ: الصَّمَدُ: الباقي بعدَ خلقِه[٢].

وعن مجاهدٍ ومعمرٍ: هو الدَّائمُ[٣].

وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ: هو الذي لا يَبْلى ولا يَفْنى[٤].

وعنه أيضاً: هو الذي يحكمُ ما يريدُ ويفعلُ ما يشاءُ لا مُعقِّبَ لحُكمِه ولا رادَّ لقَضائِه[٥].

فقد تضمَّنَت هذه السُّورةُ العظيمةُ إثباتَ صفاتِ الكمالِ ونفيَ النَّقائصِ والعُيوبِ مِن خصائصِ المخلوقينَ مِن التَّولُّدِ والمُماثَلةِ.

وإذا كان مُنزَّهاً عن أن يَخرُجَ منه مادَّةُ الولَدِ التي هي أشرفُ الموادِّ؛ فلَأَنْ يُنزَّهَ عن خروجِ مادَّةِ غيرِ الولَدِ أولى، وكذلك تنزيهُه نفسَه عن أن يُولَدَ فلا[٦] يكونَ مِن مثلِه تنزيهٌ له عن أن يكونَ مِن سائرِ الموادِّ بطريقِ الأَوْلى.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٩)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٦). وهو قول الحسن رحمه الله.

(٣) ذكره عنهما ابن تيمية في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٥)، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٣٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٨١)، عن معمر عن الحسن.

وأخرجه الطبري (٢٤/ ٧٣٦) عن قتادة، وذكره الثعلبي (٣٠/ ٥١٤) عن عاصم ومعمر.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥١٥) عن الحسين بن الفضل. وقد سقط ذكره من «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية (ص: ١٥)، فتبعه المصنف، الذي نقل كلَّ هذه الأقوال بواسطته. وكذلك ما قبلها وما بعدها من المسائل ملخصةً.

(٦) في (س): «فلأن» وهو خطأ ظاهر. والمثبت من (ج) و(ض)، وهو موافق لما في «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية (ص: ١٧٠).

فمَنْ أثبتَ للهِ ولَداً فقد شتَمَه، وقد ثبَتَ في «صحيح البخاري» عن أبي هريرةَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: كذَّبَني ابنُ آدم ولم يكُن له ذلك، وشَتَمني ولم يكن له ذلك، فأمَّا تكذيبُه إيَّايَ فقولُه: لن يُعيدَني كما بدَأَني، وليس أوَّلُ الخلقِ بأهوَنَ عليَّ مِن إعادتِه، وأمَّا شَتْمُه إيَّايَ فقولُه: اتَّخذَ اللهُ ولَداً، وأنا الأحَدُ الصَّمَدُ، لم أَلِدْ ولم أُولَدْ، ولم يكن لي كفواً أحَدٌ»(١).

وفي «صحيح البخاريِّ» أيضاً عن ابنِ عبَّاسٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: كذَّبَني ابنُ آدمَ ولم يكن له ذلك، وشَتَمني ولم يكن له ذلك، فأمَّا تكذيبُه إيَّايَ فزعَمَ أنِّي لا أقدرُ أن أعيدَه كما كان، وأمَّا شَتمُه إيَّايَ فقولُه لي ولَدٌ، فسُبحاني أنْ أتَّخِذَ صاحبةً أو ولداً»(٢).

وقد ردَّ اللهُ على مَن زعَمَ أنَّه لا يُعيدُ الخلقَ، وعلى مَن زعَمَ أن له ولداً كما تضمَّنَه هذا الحديث، وفي قولِه: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦] إلى قولِه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩].

وفي «صحيح البخاريِّ» أيضًا، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لا أحدَ أصبرُ على أذًى سَمِعَه مِن اللهِ، إنَّهم يَجعلونَ له ولداً وهو يَرزقُهُم ويُعافيهِم»(٣).

فهذه السُّورةُ الكريمةُ تضمَّنَت نفيَ ما هو مِن خصائصِ آلهةِ المُشركينَ عن ربِّ العالمينَ، حيث جاءَ في سببِ النُّزولِ أنَّهم سألوا النَّبيَّ ﷺ عن ربِّه: مِن أيِّ شيءٍ هو؟ أمِن كذا؟، أم مِن كذا؟، وممَّنْ وَرِثَ الدُّنيا؟، ولِمَن يُوَرِّثُها(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٠٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧١)، عن الضحاك وقتادة ومقاتل دون أسانيد إليهم.

حيث كانوا قد اعتادوا آلهةً يَلِدونَ ويُولَدونَ، ويَرِثونَ ويُورَثونَ، وآلهةً من مَوادَّ مَصنوعةٍ مِنها، فأنزلَ اللهُ هذه السُّورةَ.

وفي «المسند» مِن حديثِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ بعد ذكرِ نُزولِها: لأنَّه ليس أحدٌ يولَدُ إلَّا يموتُ، ولا أحدَ يَرِثُ إلا يورَثُ[1].

يقولُ: كلُّ مَن عُبِدَ مِن دونِ اللهِ وقد وُلِدَ مثلَ المسيحِ والعُزَيرِ وغيرِهما مِن الصَّالحينَ، ومثلَ الفراعنةِ المُدَّعينَ الإلهيَّةَ فهذا مولودٌ يموتُ، وهو وإن كان قد وَرِثَ مِن غيرِه ما هو فيهِ فإذا ماتَ وَرِثَه غيرُه، واللهُ سبحانَه حيٌّ لا يموتُ ولا يُورَثُ سبحانَه وتعالى، واللهُ أعلَمُ.

*سؤالٌ: نفى سُبحانَه الوِلادةَ قبل نفيِ التَّوَلُّدِ، والتَّولُّدُ أسبَقُ وُقوعاً مِن الوِلادةِ في حقِّ مَن هو مُتولِّدٌ؟

وجوابُه: أنَّ الولادةَ لم يَدَّعِها أحدٌ في حقِّه سُبحانَه، وإنَّما ادَّعَوْا أنَّه وَلَدَ، فكذلك[2] قدَّمَ نفيَه لأنَّه هو المهمُّ المحتاجُ إلى نفيِه.

*سؤالٌ آخرُ: كيف نفَى أن يكونَ مَوْلوداً ولم يَعتقِدْهُ أحَدٌ؟

---

(١) أصل الحديث في «المسند» للإمام أحمد (٢١٢١٩)، وقد سبق ذكره في كلام المصنف عن سبب نزول السورة، لكن ليس فيه سوى ذكر سبب النزول، وليس فيه ما بعده، وأما قوله: «ليس أحد يولد إلا يموت...» فهذا زاده الترمذي في روايته (٣٣٦٤)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٤٤) وغيرهما.

وسياق ابن تيمية في «تفسير سورة الإخلاص» (ص: ١٣) يوهم أن السياق للإمام أحمد وليس له إنما روى أصل الحديث فحسب.

(٢) في (س): «فلذلك».

جوابُه مِن وَجهينِ:

أحدُهما: أنَّهم سَأَلوا عمَّنْ وَرِثَ الدُّنيا ولِمَن يُوَرِّثُها، وهذا يُشعِرُ بأنَّ مِنهم مَن اعتقَدَ ذلك.

والثَّاني: أنَّه نفى عن نفسِه سبحانَه خصائصَ آلهةِ المُشركينَ؛ فإنَّ مِنهم مَن عبَدَ المسيحَ، ومِنهم مَن عبدَ العُزَيرَ، وهما مولودانِ.

ومنهم مَن عَبَدَ الملائكةَ والعِجلَ وهي مُتَولِّداتٌ، وقد تقدَّمَ أنَّ نفيَ الوِلادةِ يدلُّ[1] على نفيِ التَّوَلُّدِ بطريقِ الأَوْلَى.

* فائدةٌ: قالَ ابنُ عَطيَّةَ: ﴿كُفُوًا﴾ خبرُ كانَ، واسمُها ﴿أَحَدٌ﴾، والظَّرْفُ مُلْغًى[2]، وسيبويهِ يَستحسِنُ أن يكونَ الظَّرفُ ـ إذا تقدَّمَ ـ خَبَراً، ولكن قد يجيءُ مُلغًى في أماكنَ يَقتضيها المعنَى كهذه الآيةِ، وكقولِ الشَّاعرِ ـ أنشدَه سيبويهِ ـ:

ما دامَ فيهِنَّ فَصيلٌ حيًّا[3]

ويَحتمِلُ أن يكونَ ﴿كُفُوًا﴾ حالاً لِمَا تقدَّمَ مِن كونِه وَصْفاً للنَّكِرَةِ؛ كما قالَ:

لعزةَ مُوحِشاً طلَلُ[4]

---

(١) في النسخ كلها: «تدل».

(٢) من طرائف التصحيف في (س): «والظرف ماض»!!

(٣) «الكتاب» لسيبويه (١/ ٥٦)، والرجز فيه:

لَتَقْرُبِنَّ قَرَباً جُلْذِياً ما دامَ فيهن فصيلٌ حياً

فقدْ دَجا اللَّيلُ فَهَيًّا هيًّا

والرجز: لابن ميادة، كما في «شرح أبيات سيبويه» لأبي محمد السيرافي (١/ ١٧٧)، قال أبو سعيد السيرافي في «شرح كتاب سيبويه» (١/ ٣٢٢): الشاهد أنه قدم فيهن فصيل، وجعله لغواً، لأنه جعل (فصيل) اسم (ما دام)، و(حياً) خبره.

(٤) هكذا جاء في «المحرر الوجيز»، وفي (ج) و(ض) فعلى هذا هو لكثير عزة، وجاء في (س): «كما =

قالَ سيبويهِ: وهذا يقلُّ في الكلامِ وبابُه الشِّعرُ[١].

فهذه السُّورةُ تتضمَّنُ انفرادَه ووَحدانيَّتَه، وأنَّه مُنقطِعُ النَّظيرِ، وأنَّه إنَّما نُزِّهَ[٢] عن أن يكونَ مِن أجناسِ المخلوقينَ[٣]، لأنَّ أفرادَ كلِّ جنسٍ مِن هذهِ الأجناسِ مُتكافِئةٌ مُتماثِلَةٌ، فالذَّهَبُ يُكافِئُ الذَّهَبَ، والإنسانُ يُكافِئُ الإنسانَ ويُزاوِجُه، ولهذا قالَ تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] فما مِن مَخلوقٍ إلَّا ولَهُ كُفْءٌ هو زَوجُه ونَظيرُه وعِدْلُه ومَثيلُه، فلو كانَ الحقُّ مِن جنسِ شيءٍ مِن هذهِ الأجناسِ لكانَ لهُ كُفْءٌ وعِدْلٌ، وقد عُلِمَ انتفاؤُه بالشَّرعِ والعَقلِ.

فهذه السُّورةُ هي نسَبُ الرَّحمنِ وصِفَتُه، وهيَ التي أنزَلَها اللهُ في نفيِ ما أضافَ إليه المُبطِلونَ مِن تمثيلٍ وتَجسيمٍ وإثباتِ أصلٍ وفرعٍ[٤]:

فدخلَ فيها ما يقولُه مَن يقولُه مِن المُشركينَ والصَّابئةِ وأهلِ الكتابِ، ومَن دخلَ فيهم مِن مُنافقي هذه الأمَّةِ، مِن تَوَلُّدِ المَلائكةِ، أو العقولِ، أو النُّفوسِ، أو بعضِ الأنبياءِ، أو غيرِ الأنبياءِ عنه.

ودخل فيها ما يقولُه مَن يقولُه مِن المُشركينَ وأهلِ الكتابِ مِن تَوَلُّدِه عن غيرِه؛ كالذينَ يقولون في المسيحِ: إنَّه اللهُ، والذين يقولونَ في الدَّجَّالِ: إنَّه اللهُ، والذين يقولون ذلك في عليٍّ وغيرِه.

= قال كثير لعزة: لميت موحشاً طلل» والشَّاهِد المشهور في كتب النحو في هذا المعنى هو:

لميَّـــةَ موحشـــاً طلَلُ يَلُـــوحُ كَأَنَّـــهُ خِلَـــلُ

(١) «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٥٣٧). وانظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤).

(٢) في (س): «ينزه».

(٣) في (ج) و(س): «المخلوقات».

(٤) في (ج): «أو فرع».

ودخَلَ فيها ما يقولُه مَن يقولُه مِن المُشرِكينَ وأهلِ الكتابِ مِن إثباتِ كُفْءٍ له في شيءٍ مِن الأشياءِ، مثل مَن يجعلُ له بتشبيهِه أو بتجسيمِه كفواً، أو يجعلُ له بعبادةِ غيرِه كفواً، أو يجعلُ له بإضافةِ بعضِ خلقِه إلى غيرِه كفواً، فلا كفءَ له في شيءٍ مِن صفاتِه ولا في رُبوبيَّتِه ولا في إلهيَّتِه.

فتضمَّنَت هذه السُّورةُ تنزيهَه وتقديسَه عنِ الأصولِ والفُروعِ والنُّظَراءِ والأمثالِ، وليس في المخلوقاتِ شيءٌ إلَّا ولا بُدَّ أن يُنسبَ[1] إلى بعضِ هذه الأعيانِ والمعاني، فالحيوانُ مِن الآدميِّ وغيرِه لا بُدَّ أن يكونَ له إمَّا والِدٌ وإمَّا مولودٌ وإمَّا نظيرٌ هو كفؤهُ، وكذلك الجنُّ والملائكةُ، كما قالَ تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

قال بعضُ السَّلَفِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمونَ أنَّ خالقَ الأزواجِ واحدٌ[2].

قالَ تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣].

قالَ مُجاهِدٌ: كلُّ شيءٍ خلَقَه اللهُ فهو شفعٌ، قالَ تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]: الكفرَ والإيمانَ، والهدى والضَّلالةَ، والشَّقاوةَ والسَّعادةَ، والليلَ والنَّهارَ، والسَّماءَ والأرضَ، والبرَّ والبحرَ، والشَّمسَ والقمرَ، والجنَّ والإنسَ، والوِترُ اللهُ تباركَ وتعالى[3].

---

(١) في (ج): «ينتسب».

(٢) قاله ابن أبي حاتم الرازي في «تفسيره» تعليقاً على قول مجاهد: كل شيء خلقه الله شَفْع. نقله ابن كثير في «تفسيره» (سورة الفجر: ١).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥١). وما نقله المصنف مركّب من روايتين عن مجاهد.

وهذا هو الذي ذكرَه البخاريُّ في «صحيحه»[١]؛ فإنَّه يَعتمدُ قولَ مجاهدٍ لأنَّه أصَحُّ التَّفسيرِ.

قال الثَّوريُّ: إذا جاءكَ التَّفسيرُ عن مُجاهدٍ فحسبُكَ به[٢]. واختارَه الشَّيخُ مجدُ الدِّينِ ابنُ تيميَّةَ[٣].

وحقيقةُ الكُفءِ هو: المُساوي والمُقاومُ، فلا كفءَ له تعالى في ذاتِه، ولا في صفاتِه، ولا في أسمائِه، ولا في أفعالِه، ولا في رُبوبيَّتِه، ولا في إلهيَّتِه، ولهذا كان الإيمانُ بالقدَرِ نظامَ التَّوحيدِ، كما قالَ ابنُ عبَّاسٍ[٤]؛ لأنَّ القَدَريَّةَ جعَلُوا له كفواً في الخَلقِ.

وأمَّا توحيدُ الإلهيَّةِ: فالشِّركُ فيه تارةً يُوجِبُ الكُفرَ والخُروجَ مِن الملَّةِ والخلودَ في النَّارِ.

ومنه: ما هو أصغَرُ كالحَلِفِ بغيرِ اللهِ، والنَّذرِ له، وخشيةِ غيرِ اللهِ، ورَجائِه، والتَّوكُّلِ عليه، والذُّلِّ له، وقولِ القائلِ: ما شاءَ اللهُ وشئتَ.

ومنه: ابتغاءُ الرِّزقِ مِن عندِ غيرِ اللهِ، وحَمدُ غيرِه على ما أعطى، والغُنيةُ بذلك عن حمدِه.

ومنه: العمَلُ لغيرِ اللهِ، وهو الرِّياءُ، وهو أقسامٌ، ولهذا حُرِّمَ التَّشبُّهُ بأفعالِه بالتَّصويرِ، وحُرِّمَ التَّسَمِّي بأسمائِه المُختصَّةِ به كاللهِ والرَّحمنِ والرَّبِّ، وإنَّما

---

(١) ذكره البخاري في التفسير من «صحيحه» سورة: والفجر، بين حديث (٤٩٤١) و(٤٩٤٢) معلقاً مجزوماً به مختصراً بلفظ: «كلُّ شيءٍ خَلَقَهُ فهو شَفْعٌ، السَّماءُ شَفعٌ، والوترُ اللهُ تبارك وتعالى».

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٨٥).

(٣) ما ذكره البخاري، وما قاله الثوري، وما اختاره المجد ابن تيمية نقله المصنف كله من «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية» للتقي ابن تيمية (ص: ١١٦).

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٢٥) (٩٢٨)، والفريابي في «القدر» (٢٠٥)، والآجري في «الشريعة» (٤٥٦).

تجوزُ التَّسميةُ بهِ مُضافاً إلى غيرِ مَن يَعقِلُ، وكذلك الجبَّارُ والمُتكبِّرُ والقهَّارُ، ونحوُ ذلك كالخلَّاقِ والرَّزَّاقِ والدَّائمِ، ومنه ملكُ الملوكِ، وقد جعَلَ ابنُ عقيلٍ التَّسميةَ بهذا مكروهةً[١].

قالَ ابنُ عقيلٍ: كلُّ ما انفردَ بهِ اللهُ كإلهٍ، ورحمنٍ، وخالقٍ: لا يجوزُ أن يُسمَّى[٢] بهِ، وكلُّ ما وُجِدَ معناه في الآدميِّ فإن كان يُوجِبُ تكبُّراً كالملِكِ العظيمِ والأعظَمِ ومَلِكِ المُلوكِ والجبَّارِ: فمَكروهٌ.

والصَّوابُ: الجَزْمُ بتَحريمِه.

فأمَّا ما يَتسمَّى به المَخلوقونَ مِن أسمائِه: كالسَّميعِ والبَصيرِ والقَديرِ والعَليمِ والرَّحيمِ، فإنَّ الإضافةَ قاطِعةٌ للشَّركة[٣]، وكذلك الوَصفيَّةُ، فقولُنا: زَيدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لا يُفيدُ إلَّا صِفةَ المَخلوقِ، وقولُنا: اللهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يفيدُ صِفَتَه اللَّائقةَ به، فانقطَعَتِ المُشابهةُ بوجهٍ مِن الوُجوهِ، ولهذا قالَ تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وفيه قولانِ:

أحدُهما: نفيُ التَّسمِيَةِ.

والثَّاني: نفيُ المُساماةِ[٤].

وقد نفى سُبحانَه عن نفسِه المِثليَّةَ بقولِه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ونفى عنه العَدْلَ والتَّسويةَ بقولِه: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]،

---

(١) ذكر المصنف هذه المسألة في «شرح حديث ما ذئبان جائعان»، وانظر التعليق عليها.

(٢) في (س): «التسمي».

(٣) في (ض): «للشرك».

(٤) في (س): «المساواة». وفي (ج): «المسماة».

وقوله: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦ ـ ٩٨].

ونفى عنه النِّدَّ بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقوله: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ [فصلت: ٩].

وفي الحديثِ: أيُّ الذَّنبِ أعظَمُ؟ قالَ: «أن تجعلَ للهِ نِدًّا وهو خَلَقَك»(١).

وقال للَّذي قالَ له: ما شاءَ اللهُ وشئتَ: «أجَعَلْتَني للهِ نِدًّا؟»(٢)، وفي روايةٍ: «أجعلتني واللهَ عِدْلاً»(٣).

وقال كعبٌ: السَّماواتُ السَّبعُ والأَرَضُونَ السَّبعُ أُسِّسَت على هذه السُّورةِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(٤).

ومعنى هذا ـ واللهُ أعلمُ ـ: أنَّ السَّماواتِ والأرضَ إنَّما خُلِقَت بالحَقِّ، وهو العَدْلُ والتَّوحيدُ، كما قالَ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩].

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع كثيرة منها (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٣٩)، وابن ماجه (٢١١٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٠٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٤٦)، والطبري (٢٤/ ٧٣٨)، والحسن الخلال في «فضائل سورة الإخلاص» (٤٠). عن كعب رحمه الله.

وأخرجه الدينوري في «المجالسة» (٣٤٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

ومِن شعرِ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ:

وسبحانَ رَبِّي خالقِ النُّورِ لم يَلِدْ ... ولم يَكُ مَوْلودًا بذلكَ أشهَدُ

وسبحانَه مِن كُلِّ إفكٍ وباطِلِ ... وكيفَ يَلِدْ ذو العَرْشِ أم كيفَ يُولَدُ

هوَ اللهُ باري الخَلْقِ والخَلْقُ كُلُّهُمْ ... إماءٌ له طَوْعًا جَميعًا وأَعْبُدُ

هوَ الصَّمَدُ الذي لم يَكُن لَهُ ... مِنَ الخَلْقِ كفوٌ قد يُضاهيهِ مُضْدَدُ

وأَنَّى يكونُ الخَلْقُ كالخالقِ الذي ... يَدُومُ ويَبْقَى والخَليقَةُ تَنْفَدُ

وليس لمخْلُوقٍ على الدَّهرِ جِدَّةٌ ... ومَن ذا على مَرِّ الحَوَادِثِ يَخْلَدُ

ونَفْنَى ولا يبقَى سِوَى القاهِرِ الذي ... يُمِيتُ ويُحْيِي دائِبًا ليس يَهْمَدُ [1]

آخِرُه

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ[2]

* * *

(١) انظر: «ديوان أمية» (ص: ٤٣)، وذكر القصيدة بتمامها بأطول مما هنا: ابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ١٥١ ـ ١٥٣).

(٢) هذه خاتمة (ض)، وفي خاتمة (س): «آخر ما وجد من كلام أبي الفرج تغمده الله برحمته من الكلام على ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

بقلم الفقير إلى الله عبده عبد الله بن إبراهيم بن محمد الربيعي غفر الله له ولوالديه والمسلمين، وذلك في (١٦) محرم سنة (١٣٣٤) تم ذلك والحمد لله رب العالمين». وفي حاشيتها: بلغ.

وجاء في خاتمة (ج): «تمت ولله الحمد على التمام».